الولايات المتحدة لاسرائيل بأن تقدم، هذه الاخيرة، مبادرة سياسية خاصة بها لدفع مسار التسوية في منطقة الشرق الاوسط. ويبدو شامير وسط كل هذا التعقيد كمن يمسك العصا من المنتصف. فهو، من جهة، رهَن بقاءه في رئاسة الحكومة بالمبادرة التي طرحها في واشنطن، ويريد تحاشي فك عقد الشراكة مع المعراخ، وهو، من الجهة الأخرى، يريد تلطيف الأجواء مع المستوطنين، حتى يستطيع عزل أخصامه في تكتل الليكود، انتظاراً لجلسة مركز الحركة التي أجريت في الخامس من الشهر الجاري. وفي الانتظار، بدا شامير يسير على حبل دقيق، وبدا، من خلال تصريحاته، وكأنه يقول الشيء وعكسه في آن. ففي أكثر من مناسبة، أكد تفهّمه «لضائقة المستوطنين» في الوقت الذي رفض ظاهرة لجوء المستوطنين الى أخذ «القانون» بأيديهم. وعلى الرغم من كل ذلك، فانه لم ينجح في مواصلة خطابه الى جمهور مستوطنة اريئيل، عندما كان يشارك في تأبين مستوطن منها، وتلقّى اهانات من بعض المستوطنين الغاضبين، مثل «خائن» و «شامير رئيس وزراء الانتفاضة».

وفي هذا الاطار، فالأمر ليس سهلاً على شامير. فالسياسيون الذين يقفون وراء المستوطنين ويحرّضونهم يدركون ان هؤلاء «لا يثقون بـ [أقوال] اسحق شامير وموشي أرنس بأن الحكم الذاتي لن يقود أبداً الى قيام دولة فلسطينية معادية. وتصريحات رئيس الحكومة بشأن ' ولا شبر ' و ' لن نعطي لهم ' [أي للفلسطينيين] شيئاً ما لا تقنعهم. وهم يلمحون، بواسطة هجماتهم داخل القرى العربية، الى زعامة الليكود، بأنه اذا ما وافقت الحكومة على تقسيم أرض ـ اسرائيل الغربية من جديد، واذا ما فرض هذا الاتفاق اخلاء بضع المستوطنات... فانهم، اي المستوطنون، لن يخلوها بارادتهم» (فولص، هآرتس، ٢/٦/١٩٨٩).

الى هذا، فان رهان شامير الأساسي هو على كسب الوقت مرحلياً للخروج من الجمود مؤقتاً. ولهذا السبب، بالذات، جاءت مبادرته مليئة بالضبابية والغموض. فالخلافات الجوهرية بين الحزبين الأساسيين في الحكومة قائمة وسارية المفعول. «الليكود يصرّ على رأيه: أرض ـ اسرائيل الكاملة ملك لنا؛ والمعراخ يقول بمبدأ ' أراضٍ مقابل سلام ' . وقد وجد الحزبان حلاً وسطاً مؤقتاً بينهما (مبادرة سياسية بدلاً من مشروع سلام) من أجل سلامة الحكومة. وهذا حل وسط داخلي ضعيف جداً ومشروط أيضاً» (ليفي اسحق هيروشلمي، معاريف، ٢٥/٦/١٩٨٦). ومن جهة أخرى. ان شامير مطالب باظهار مواقف أكثر وضوحاً في مبادرته من أطراف عدة، من الاميركين والمتطرفين في الليكود وشركائه في الحكومة. وكل هذا تحت تأثير وقع الانتفاضة الضاغط، يومياً، على الاوضاع في اسرائيل. ومن الواضح، ان رئيس الحكومة الاسرائيلية ليس مستعداً لتليين موقفه. ولو افترضنا أنه فعل ذلك ارضاء لرغبة أميركية، فهل سيكون في مقدوره مواجهة الوضع الداخلي القائم في حزبه؟ فالمرونة في هذه الظروف تخدم، فقط، أخصامه في الليكود، ولذلك «انعكاسات داخلية في كل الاتجاهات. فاذا ذهب الليكود بعض الشيء في اتجاه الاميركيين، سوف تتأجج نيران الخلاف داخله بشكل أكبر؛ واذا لم يوافق رئيس الحكومة ووزير خارجيته ـ على سبيل المثال ـ على السماح لعرب القدس الشرقية بالاشتراك في الانتخابات، قد تنشأ مشاكل ليست فقط مع الاميركيين؛ فاسحق رابين وشمعون بيرس لديهما، أيضاً، رأي واضح في هذه المسألة. واذا لم يصر الاثنان على رأيهما، فسوف يثور عليهما حزبهما. وليس في الليكود فقط هناك من يدعو الى عدم التراجع وطي الأعلام، ولكن في المعراخ، ايضاً، يوجد من يقول ان هناك حدوداً للتراجع» (المصدر نفسه).

الانتفاضة تعمّق الخلافات

أدّى كل ذلك الى مزيد من التعقيدات على الساحة الاسرائيلية الداخلية، خصوصاً لدى الأحزاب الاسرائيلية. ويبدو ان شامير يسير باتجاه مواجهة أزمة لا بد منها. فهو ان استطاع التغلب على أزمة حزبه الداخلية، سيطالَب، عندئذٍ، من قبل الاميركيين بدفع عجلة خطته الى امام. وفي مثل تلك الظروف، سيشعر المستوطنون بأن ساعة الحقيقة قد اقتربت، فكيف سيتصرفون؟ هل يلجأون الى استخدام سلاحهم الذي ساهم شامير وأمثاله من المتطرفين في تزويدهم به، فتتحقق مقولة «لقد قام المسخ على خالقه»؟